

اتّجاه الحداثة في اللسانيات التمهيدية العربية، تقليد ساذج أم كفاءة منهج.

سفيان طيار Teyar.soufiane@gmail.com

مخبر الممارسات اللغوية – جامعة مولود معمري- تيزي وزو.

المشرف: الجوهر مودر

مخبر الممارسات اللغوية – جامعة مولود معمري- تيزي وزو.

تاريخ الاستلام: 2020/12/01

تاريخ القبول: 2020/12/04

تاريخ النشر: 2021/01/01

المخلص:

بحثنا في هذه الدراسة مظاهر تأثر أصحاب اتجاه الحداثة والتجديد في الكتابات اللسانية التمهيدية العربية بالدراسات اللغوية الغربية كمرجعية فكرية لعبت دورا بارزا في رسم معالم كتاباتهم اللسانية خاصة والكتابات اللسانية العربية عامة، مع إبراز كيفية تأثرهم، هل كان قائما على الأسس المنهجية التي اتسم بها الدرس الغربي، أم مجرد تقليد ناتج عن الانبهار الذي يغدّبه ركود الدرس اللغوي العربي، وكان لنا ذلك من خلال تحليل نموذجين هما: كتاب مناهج البحث في اللغة لتمام حسان وكتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران، ولقد خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: كثرة المصطلحات المترجمة و اعتماد رموز أجنبية لدراسة اللغة العربية إضافة إلى التمثيل من الثقافة الغربية وذلك لاعتماد مراجع أجنبية بالدرجة الأولى، الفهم غير الصحيح للعلمية والوصفية في دراسة اللغة المؤدي إلى التركيز على الجانب الصوتي و التمثيل من اللهجات. ختما يمكن القول أن الكاتبين حاولا الانتقال في المكان بالدرس اللغوي العربي من خلال نقل المناهج الغربية كما فعل محمود السعران أو نقل اللغة العربية للمختبر الغربي ولم يكن محاولة انتقال في الزمان والرقى بالدرس اللغوي العربي لمواكبة نظيره الغربي.

كلمات مفتاحية: اللسانيات، إتّجاه الحداثة، المرجعية الفكرية، الدرس الغربي.

Abstract:

In this study, we examined the aspects of the influence of the owners of the trend of modernity and innovation in the introductory Arabic linguistic writings with Western linguistic studies as an intellectual reference that played a prominent role in drawing the features of their linguistic writings in particular and the Arabic linguistic writings in general, highlighting how they were affected, was it based on the methodological foundations that characterized the Western lesson Or is it just a tradition resulting from the fascination fueled by the stagnation of the

Arabic linguistic lesson, and we had that by analyzing two models: the book of methodologies for research in language by Tamam Hassan and the book of linguistics an introduction to the Arabic reader by Mahmoud al-Saaran, and the study concluded with the most important results: the abundance of translated terms and Adopting foreign symbols for the study of the Arabic language in addition to the representation of Western culture in order to adopt foreign references in the first place, the incorrect understanding of scientific and descriptive in the study of language leading to a focus on the phonemic aspect and representation of dialects. In conclusion, it can be said that the two writers tried to move in the place with the Arabic linguistic lesson by transferring the Western curricula, as Mahmoud Al-Saran did, or transferring the Arabic language to the Western laboratory, and it was not an attempt to move in time and advance the Arabic language lesson to keep pace with its western counterpart.

Key words: linguistics, the trend of modernity, intellectual reference, the Western lesson.

مقدمة:

خضعت اللسانيات العربية الحديثة إلى تصنيفات يمكن أن نميز فيها بين لسانيات تراثية تتخذ التراث اللغوي العربي موضوعا لها، وتسلم بما جاء فيه، وتدعي سبق اللغويين العرب القدامى إلى كل لساني جديد، وبين لسانيات تنتقد التراث اللغوي العربي وتدعو إلى الحداثة والتجديد، ولسانيات حاولت ربط المعطى اللغوي القديم بالدرس اللساني الحديث، ولا شك أن هذا الاختلاف يتركز على معطيات وأسس فكرية؛ فقد تمركزت الكتابات اللسانية التمهيدية العربية على عدّة مرجعيات وخلفيات، وبرز كل اتجاه نتيجة ثقافة أصحابه والظروف التي اطلع فيها على التراث أو التي اتصل فيها بالدراسات اللسانية الحديثة الغربية، وطريقة تعامله مع هذه المعطيات اللسانية الغربية، وكذلك التغيير المنشود إحداثه في حقل الدراسات اللغوية العربية.

لقد نادى أصحاب الاتجاه الثاني (الحداثة والتجديد) إلى ضرورة إحداث التقدم من خلال النظر إلى اللغة العربية وفق المناهج اللسانية التي ظهرت في الغرب، فقام البعض

بفسط هءه المناهء ومءاولة فءلفلها و فءفمها للقارئ العربف منهم مموم السعران وكتابه "علم اللغة مقءمة للقارئ العربف"؁ فف ففن طَبَّق البعض الآخر هءه المناهء الغربفة على اللغة العربفة كما هو الحال مع تمام حسان وكتابه " مناهء البءء فف اللغة " ففما هف مظاهر فأئر كل منهما بالءراساء اللغوفة الغربفة كمرفعة فكرفة موءَّهة لكتابفهما؟ وهل كان فبف هءا الاءءاه مبفف على قنائة بكفاءة المنهء أم مءرء انهار و فقلفء؟

للإءابة على هءه الإشكالفة فناولنا مءموعة من العناصر من خلال اعءماء المنهء الوصفف لاسءقراء الشواهد وفحلفلها والوصول إلى الفناءء المطلوبة.

1. نبءة عن فءاة الكاففن

1.1. تمام حسان¹

ولء فف 27 ففنافر 1918 فف قرفة الكرنك فف صعفء مصر؁ وفف عام (1945) منح إءازة فف الفءرفس من مءرسة العلوم وفءرف منها الأول عن فءفعفه؁ ثم رءل إلى لءنء و ففلمء على فء الألمانية ففرث (firth) ففء ناقش رسالة المامفسفر فف علم اللغة عام (1949)؁ ثم رسالة الفءكفوراها عام (1952) و كانفا فف اللهءاء؁ وفف عام (1965) عاء إلى مصر واضطلع بفءرفس ماءة النحو العربف بكلفة ءار العلوم؁ وشغل منصفف رففس قسم النحو الصرف و وكلف كلفة ءار العلوم ثم عمفءا لها؁ وانءءب عضاوا بمءمع اللغة العربفة فف القاهرة عام (1980)؁ وفء فوفف فوم 11 أءفوبر 2011 مءلفا العءفء من الكفب و المقالاء والبءوء المنشورة ومن أهم مؤلفاءه:- مناهء البءء فف اللغة سنة 1955

- اللغة بفن المعفاربة والوصففة 1958

- اللغة العربفة معناها ومبناها 1973

اضافة إلى بعض الفرفماء مثل: اللغة فف المءمع؁ وبعض البءوء والمقالاء مثل: منهء نءاة العرب؁ القرائن النءوفة واطِّراح العامل والإعرابفن الفءفرفف والمءلف.

2.1. مءموء السعراء²

مءموء ءسن عطفة السعراء، ولف فف 07ماف 1922 فف مصر ءرس فف ءامعة الإسكندرفة وءصل منها على ءرءة لفسانس عام (1943م) ثم على ءرءة الماءسفر فف الأءب عام (1947م)، وفف سنة (1951م) فءصل على الءكفوراھ فف اللسانفاء من ءامعة لئءن ببعء عنوانه "ءراسة نقءفة للملاءظاء الصوئفة للئءاة العرب". فءرء فف وظائف هفئة الفءرفس لكلفة الأءاب فف ءامعة الإسكندرفة ءق ففاته ففوم 21ءفسمبر 1963 مءلفا العءفء من المؤلفاء منها:- علم اللغة مقءمة للقارئ العربف

- اللغة والمءءمع، رأف ومنهء

- بعء فف علم الأصواء

- بعء اصطلاح الكءابة العربفة

إضاءة إلى بعض المؤلفاء المءرءمة مثل: - الاءءاهاء فف علم اللغة للمؤلف

سومرففل

- بعء لغة الءفوان واللغة الإنسانفة فألف بنفنفسء

2. مءفوى الكءابفن .

نقوم بعرض مءفوى الكءابفن من ءلال رصء أهم الأفكار المءروءة ففهما.

1.2. مئاهء البءء فف اللغة (1955) لتمام ءسان³

عرض تمام ءسان مراءل فطور البءء اللسانف فف الغرب، وبعض مباءئ المنهء البنفوف، ثم فءء عن آراء اللغوففن العرب القءامف ءول اللغة، بعءها عالء مئاهء ءراسة اللغة من ءلال سءة مسءوفاء سماها مئاهء مع مءاولة فطبفء هءه المئاهء على اللغة العربفة، وباءأ بءراسة مءكمة لعلم الأصواء مءكزا على اللهءاء فف فطبفء المنهء الوصفف مع الفصل بفن مئاهء الأصواء (الفونئفك) ومنهء الفءكفل الصوئف

(الفونولوجيا) حيث تناول في الأول الفرق بين الجرس و الحس والصوت وميز بين درجة الصوت وعلوه وقيّمته في حين عرض في الثاني نظرية الفونيم عند جملة من اللسانيين (تروبتسكوي، بلومفيلد، بودوان...) وكذلك تحدث عن ظاهرة المجاورة في السياق ووقف عند تعريف المقطع و بعض الظواهر الفونولوجية كالموقعية والنبر و القوة والضعف والتفخيم والترخيم...، ثم تناول المورفيم والعلامة والباب في منهج الصرف(المورفولوجيا) وأوجد مصطلح الأبجدية كترجمة للمصطلح الأمريكي(phonemics) وهو فرع من فروع الدراسة الصوتية، بعدها تطرّق إلى المعنى الوظيفي في باب التّحو إضافة إلى علاقة الإعراب بالمنهج المعجمي أو الدلالي كخطأ وقع فيه النحاة ليصل إلى أن الإعراب هو فرع المعنى الوظيفي، وفي منهج المعجم وضع أسس تحديد الكلمة في العربية وهي:الإفراد في السياق، الحذف من السياق، الحشو في السياق، الإبدال في السياق واستخدام العلامات الموقعية في الكلام، أما منهج الدلالة فتناول فيه الدراسة الدياكرونية و الدراسة السايكرونية؛ فالأولى تحاول البحث في الأسباب التي تحدث تغييرا في المعنى والثانية تبحث في دراسة الصّيغة والوظيفة والسّياق من الوظيفة الصوتية إلى الصرفية إلى النحوية.

2.2. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران(1962)⁴

يعدّ مدخلا للسانيات قصّد المؤلف منه تقديم هذا العلم للقارئ العربي حصرا لذلك بدأ بمقدمة طويلة تحدث فيها عن جهود الغرب في دراسة اللغة، ثم تحدث عن علم اللغة في المشرق العربي، والصعوبات التي تقف عقبة أمام تقدمه.

قسم الكتاب إلى خمسة أبواب تناول في الباب الأول علم اللغة ماهيته وموضوعه وركّز على أفكار دي سوسير ومفهومه للغة وتحدث عن السيميولوجيا وعلاقة اللغة بالعلوم الأخرى ثم عن طبيعة الدراسة اللسانية الحديثة ولم يحدد لغة بعينها بل درسها كظاهرة إنسانية، وفي الباب الثاني تناول علم الأصوات اللغوية الذي هو حجر الأساس حسبه وكان عرضه مفصلا للدراسة الصوتية عند اليونان و الرومان والهنود والعرب ووقف عند الفونولوجيا التي سماها علم الأصوات الوظيفية، أما الباب الثالث فدرس فيه

العلاقات الصرفية و التركيبية في الجانب النحوي للظاهرة اللسانية من خلال المورفولوجيا والنظم، وميّز بين النحو المقارن والنحو الوصفي وفي الباب الرابع تحدث عن علم الدلالة وفيه تعرض لدراسة المعنى وصفيا وتاريخيا وعرض مناهج دراسة المعنى لدى الغرب ابتداء من ميشال بريال ثم المدارس التي جاءت بعده وعلى رأسها المدرسة الإجتماعية لسوسير ثم الإنجليزية أو السياقية لفيرث، ثم عاد في الباب الخامس للحديث عن تاريخ الدراسات اللغوية منذ العصور القديمة إلى غاية القرن العشرين مفصلا في كل عصر من العصور.

3. مظاهر التأثير بالدراسات اللغوية الغربية كثقافة فكرية

و تتجلى مظاهر التأثير بالثقافة الغربية فيما يلي:

1.3. النظر إلى الدراسات اللغوية العربية بعين التخلف والنقص

كفى دليلا على تأثر المرء بثقافة غيره أن يهاجم ثقافته وينظر إليها بعين الازدراء والتخلف وهذا ما فعله كل من تمام حسان ومحمود السعران فنجد تمام حسان يصرح في أكثر من موضع بتعقيد الدراسات اللغوية العربية وتعسّفها وعدم وضوحها ونقصها يقول: "ولقد منيت الدراسات اللغوية العربية مدة طويلة بسمة الصعوبة وأحيانا بسمة التعقيد"⁵، ويقول: "فما ورثناه عن آبائنا من خلط في التفكير اللغوي لا يزال كما هو...⁶ ويقول أيضا: "...ويذهب النحاة في ذلك مذاهب لا تخلوا من التعسف الظاهر."⁷

فهو هنا يّتهمّ درس اللغوي العربي بالصعوبة متجاهلا العاملين الزماني والمكاني الذين ظهر فيهما، فما يراه هو صعبا معقدا لم يكن كذلك في وقته.

ويقول: "والواقع أن الخليل و سيبويه لم يكتشفا النحو العربي و إنما اخترعاه اختراعا، ويريد بعض المحدثين وقد لمس نواحي النقص في هذا الاختراع أن يحسن النظام المخترع ..."⁸، ويقول أيضا: "وقد كان الخليل يرى أن العين أقصى هذه الأصوات مخرجا

وهذا خطأ بالطبع"⁹، ويقول: "وللسيوطي كلام وجيز يفرق بين اللغة والكلام، ولست أدري إن كان السيوطي واعيا بهذا التفريق أم لا"¹⁰.

ومن أدلة انتقاصه عمل العرب قوله: "والمخارج التي نذكرها هنا تختلف إلى حدّ ما عن تلك التي توجد في علم التجويد والقراءات اختلافا اقتضاه منهج البحث الحديث، وسنشير عند كل نقطة من نقاط الخلاف بين هذه المخارج وتلك إلى وجه النقص الذي نراه في وجهة نظر النحاة والقراء"¹¹. وهذه محاولة لتطويع الدرس الصوتي العربي وفق مقتضيات المنهج الغربي الحديث.

والأمثلة كثيرة على ذلك فقد خالف النحاة في أمور عدّة منها: تعريف الكلمة، مخارج بعض الأصوات، الإعراب ...¹²

ولا يختلف الحال كثيرا عند محمود السعران رغم أن الأمر يبدو أقل حدّة كونه لم يطبق المنهج الغربي وإنما حاول بسطه للقارئ العربي ومن ذلك قوله: "وإننا لنعالج أحيانا مشكلات لغوية خطيرة... ومن ذلك أن علماءنا يتحدثون عن تيسير العربية وترقيتها ... ولو كانت لأغلبهم معرفة بنتائج علم اللغة وبشيء من الدراسات اللغوية الحديثة لكان لهم في هذه الموضوعات العلمية التطبيقية أفضية أخرى أسلم أصلا وأوضح سبلا"¹³.

ويقول: "ومن الصعوبات التي على الباحث العربي أن يذللها، إزالة الأوهام الراسخة في عقولنا نتيجة دراستنا لجوانب من النشاط اللغوي العربي القديم.... ومن هذه الأوهام مسألة أقسام الكلام"¹⁴

2.3. فكرة العلمية

لم يوفّق الباحثان إلى الفهم السليم لمعنى علمية الدراسة اللغوية فكان جهدهما منصبا على دراسة الجانب الصوتي القابل للملاحظة والاستقراء حيث نجد أن تمام حسان تناول منهج الأصوات ومنهج التشكيل الصوتي في ثلثي الكتاب في حين تحدث عن

باقي المستويات في الثلث الأخير، والحال لا تختلف عند محمود السعران الذي أفرد حوالي مائة وعشرين صفحة للدراسة الصوتية مقابل حوالي مائة وثلاثة عشر صفحة لباقي المستويات ولذلك نجده يدعو إلى دراسة العلوم اللغوية الحديثة وخاصة علم الأصوات اللغوية من أجل تطوير الدرس الغوي العربي.¹⁵

ويقول: "أما أن علم اللغة يدرس اللغة من أجل ذاتها فمعناه أنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها؛ يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها فليس من موضوع دراسته أن يحقق أغراضا تربوية مثلا... إنه لا يدرسها هادفا إلى ترقيتها... إن علمه قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية"¹⁶، وهذا فهم قاصر ضيق لمعنى العلمية والوصفية لغرض الوصف هو كشف الضعف من أجل ترقيته.

3.3. الاهتمام باللهاجات و التمثيل منها

لم تكن دراسة اللهاجات معروفة لدى العرب ولم تظهر في الثقافة العربية وإنما ظهرت بسبب الاحتكاك بالثقافة الغربية فنجد تمام حسان بعدما تناول اللهاجات بالدراسة في مذكرتي الماجستير و الدكتوراه يقول في كتابه: "أما في لهجة عدن فالحروف مقسمة أيضا ولكن الأقسام سبعة مركبة غلبة التفخيم على سلوكها..."¹⁷

ويقول: "...و حين يقضي المقام بالتمثيل من اللهاجات العامية يجد القارئ أن معظم الأمثلة جاءت من لهجة الكرنك بمديرية قنا"¹⁸. ويقول: "...وتكتب القاف القاهرية هكذا (ق)"¹⁹

وقد ركز على اللهاجات في تطبيق المنهج الوصفي متأثرا في ذلك بالدرس اللغوي الغربي .

ونجد محمود السعران لا يميز بين اللهجات و اللغات يقول: "موضوع علم اللغة إذن ليس لغة معينة من اللغات، بل اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامة، اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية والتي تبدو في أشكال نظم إنسانية، اجتماعية تسمى اللغات كالروسية والاطالية و الاسبانية أو اللهجات، أو أي اسم آخر من الأسماء".²⁰

و ما نشير إليه هو أن الباحثان لم ينتهما إلى الفرق بين لهجات العربية و لهجات اللغات الهندوأوروبية، و نقصد بذلك قانون الرقي و الإنحطاط و قانون الأنقسام، فاللهجات الغربية انشطرت عن لغات مثل اللاتينية أما اللهجات العربية فتطورت مع مجيء الإسلام و توحدت في لغة مشتركة.

4.3. اعتماد أمثلة من اللغات الأجنبية

يقول تمام حسان في حديثه عن النبر: " ومثال التمييز بالنبر في الإنجليزية كلمة (contract) مع وضع النبر على أول أصوات الكلمة ..."²¹، ويقول: " يقول أستاذي فيرث في إحدى محاضراته: وهناك نوع من التقسيم أحس به، ولا أصرّ عليه، ألمحه وراء الكلمات التي تبدأ بالحرفين s مثل: slick,slid..."²²

وكذلك نجد محمود السعران يمثل لظواهر صوتية في الابدعية الانجليزية مثل الارتكاز بين (photography) و (photograph)²³ ويقول أيضا: "وإذا استمعنا إلى الكلمات keeps-cool-call: لاحظنا أن مخرج صوت الكاف في الكلمة الأولى أمامي بالنسبة لصوت الكاف في الكلمتين الأخيرتين".²⁴

ومن الأمثلة الانجليزية (whippoowill) طائر أمريكي.²⁵

وكذلك التمثيل لقضايا نحوية من اللغة الانجليزية يقول: "ويمكن أن نمثل من الانجليزية بمكونات مثل:ing-ije-al-tion"²⁶

فالأصل أن يعتمد الباحثان على أمثلة من اللغة العربيّة، وأقل ما يمكن أن يقال أنهما ينقلان حرفيا من الدرس الغربي كمن يترجم رغم أن تمام حسان يطبق المنهج الوصفي لدراسة اللغة العربيّة.

5.3. اعتماد مصطلحات الدرس اللساني الغربي وفروع علمه .

نلاحظ أن تمام حسان قد استعمل مصطلحات أجنبية من خلال عملية التعريب التي تجلت بوضوح في كتابه مثل: الفونيم، المورفيم، السيمانتيكات، السنجماتيّة...²⁷

وكذلك من خلال الترجمة مثل: القيمة الخلافية، المقابلات الصوتية، الوظيفية الأبجدية، التشكيل الصوتي، علم الأصوات.²⁸

أما محمود السعمران فكان أكثر اعتمادا على المصطلحات الأجنبية وخاصة من اللغة الانجليزية يقول: "وكان أول ما راعيته تحقيقا لهذه الغاية إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه، وانتقاء اللفظ العربي المقابل له ..."²⁹ ويقول: "وأثرت حيث لا أجد المقابل العربي الملائم أن استعمل المصطلح الأوروبي"³⁰، ونجده يذكر مصطلحات فرنسية وإنجليزية وحتى الألمانية وقد قام بعملية التعريب على قلتها مقارنة مع الترجمة مثل: فونيم، فونولوجيا، كرونيم³¹... وقد ترجم العديد من المصطلحات في الهامش مثل: الصوت اللغوي (linguistique sond)، أبجدية صوتية (phonetic alphabet)³²، وذهب إلى أبعد من ذلك حيث ذيل الكتاب بمعجم للمصطلحات (إنجليزي-عربي) في حوالي ثلاثين صفحة.

6.3. اعتماد رموز أجنبية واعتماد لغة واصفة غربية

اعتمد حسان تمام على رموز أجنبية في التمثيل حيث نجده يضع جدولاً للأصوات العربيّة معتمداً فيه على الحرف الأجنبي مثل (q): يدل هذا الرمز على صوت القاف العربيّة الفصحى ...، (b) شفوي مرقق.³⁴

كما قام بكتابة الكلمات العربية من خلال هذه الرموز مثل : كتاب kit&b³⁵

وهذا من مظاهر التقليد غير المبرر ولا يمكن إرجاعه إلى ضرورة المنهج.

ويختلف محمود السعران عن تمام حسان في قلة اعتماده الرموز الأجنبية ومن ذلك قوله: "صوت مجهور مثل الباء وأتبعه بنطق مهموس هذا الصوت وهو (p)"³⁶ ، ويقول أيضا: "الصوائت المنفتحة الأمامية مثل (a)"³⁷

وقد لا نجد تفسيراً مقنعاً لمقابلة الأصوات العربية بالحرف الأجنبي على ما بينهما من بون واضح سوى قولهما بقصور الحرف العربي وهذا لا جدال في خطئه، إضافة إلى ذلك فإن ذلك يحدث تشويشا على ذهن القارئ العربي الذي يتلقى هذا الوافد الجديد.

7.3. التأثير بالمنهج الوصفي

يقول تمام حسان: "ولكني لا أستطيع أن أعمط حقّ النظرية التي بنيت عليها هذه الدراسة وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب فهيكلا غربي وتطبيقها على اللغة العربية..."³⁸

ويتجلى تأثره بالمنهج الوصفي من خلال استبعاده نظرية العامل والتقدير يقول: "والتقدير بلية فلسفية ميثافيزيقية ومنطقية ابتلي بها النحو العربي..."³⁹

وكذلك من خلال الإشادة بالدراسات اللغوية الغربية يقول: "وحل الاستقراء كذلك محل القياس باعتباره أساسا من أسس المنهج في تناول المادة اللغوية وافتضحت بعض خرافات الماضي وطرحت..."⁴⁰ ، وكذلك أشاد بأفكار ابن مضاء القرطبي وأيده في مهاجمته النحو العربي ومنها قضية التقدير وفي ذلك يقول: "ومن الطلائع الذين هاجموا الكثير من الأفكار التقليدية في النحو العربي ومنها التقدير ابن مضاء القرطبي... ولا شك أن ابن مضاء مصيب في ما يقول"⁴¹ .

أما محمود السعران فيقول: "ومن أخطر ما رسخ في عقولنا عدم التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية للغة".⁴² ويقول: "ومن أهم ما تعنى به الدراسة اللغوية الحديثة التمييز بين دراسة لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها؛ أي دراستها دراسة وصفية أو حال استقرارها أو ثباتها، وبين دراستها من الناحية التاريخية أو التطورية أو الحركية".⁴³

ويتجلى تأثيره بالمنهج الوصفي والدراسة الآنية من خلال تأخيره تاريخ الدراسات اللغوية إلى آخر الكتاب لأنه يعطي الأولوية للدراسة الآنية .

وكذلك من خلال الإشادة بالغرب يقول: " ولقد نقلنا عن الغرب كثيرا من العلوم التي سبقنا إليها، وجاوزها في كثير منها".⁴⁴

لكن الكاتبين لم ينتمها إلى خطورة تطبيق منهج غربي على اللغة العربية، وتباين اللغة الواصفة عن اللغة الموصوفة وما ينتج عنه.

8.3. مستويات اللغة

تحدث حسان تمام عن ستة مستويات لدراسة اللغة سماها مناهج وهي: منهج الأصوات (الفوناتيك)، منهج التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)، منهج الصرف، منهج النحو، منهج المعجم، منهج الدلالة، وهو في ذلك متأثر بترويتسكوي الذي يقول: "إن علم دراسة أصوات الكلام هو علم الأصوات وعلم دراسة اللغة هو علم التشكيل الصوتي".⁴⁵

بينما نجد محمود السعران يتحدث عن ثلاثة مستويات هي : علم الأصوات اللغوية، النحو، الدلالة، وقد تناول المستوى المعجمي مع النحو والمعنى ولم يفرد له بابا لأن المعجم -حسبه- قاصر على تحديد المعنى وإنما يفهم المعنى في السياق وهو في هذا متأثر بالنظرية السياقية ليفيرث .

9.3. التآثر بأفكار اللسانيين الغربيين

وأكثر الذين تأثروا بهم دي سوسير و فيرث إضافة إلى تروبتسكوي و إدوارد ساير و بلومفيلد، ومن الأفكار التي تأثر بها تمام حسان فكرة الثنائيات فحاول تطبيقها فنجده يستعمل: حروف صحيحة/حروف العلة، كمية قصيرة/كمية طويلة، المعنى الوظيفي/المعنى المعجمي، النبر الصرفي/النبر الدلالي (السياق)...⁴⁶ كما حاول توظيف العلاقة التي أقامها دي سوسير بين المحور النظمي والمحور الاستبدالي وطبقها على المنهج الصرفي يقول: "تنبي الفكرة الرأسية على الخلافات الشكلية في المادة الواحدة؛ أي اختلاف الصيغة الذي يتسبب عن التكيفات الصرفية المناسبة، أما الفكرة الأفقية فمبناها على العلاقات بين الأبواب النحوية في السياق".⁴⁷

وضرب مثالا عن مورفيم الفاعلية وباب الفاعل في النحو وقال: "والجواب على ذلك أن نمثل بوجهي عملة النقد وبصفحتي الورقة..."⁴⁸ وهو في ذلك يقلد دي سوسير في تمثيله للدال والمدلول. ويقول: "لكن دي سوسير يتناول المسألة تناولا مزدوجا حين يستخدم اصطلاحات مزدوجة للدلالة على اختلاف النظرة إلى الصحاح والعلل باختلاف التشكيل الصوتي... هذه الثنائية تسمح بتجنب ارتباك منهجي بقي زمنا طويلا"⁴⁹

أما محمود السعران فنجده يقول بأن دراسة الصرف لا تكون إلا دراسة رأسية.

إضافة إلى دي سوسير نجد تمام حسان قد تأثر بمدرسة براغ وبأفكار تروبتسكوي ونظرية الفونيم يقول: "ومما يرضى له أن تروبتسكوي يقود بنظرته هذه إلى نفس النتائج العلمية التي قادت إليها أوضاع أخرى للنظرية، وذلك أن هذه النظرية تمنحنا مادة جوهرية لتحليل التراكيب الغوية، وأساسا قويا للكتابة الأصواتية..."⁵⁰، وكذلك تمييزه بين الفونتيك والفونولوجيا وهذا ما نادى به مدرسة براغ.

وقد تأثر كل من تمام حسان ومحمود السعران بجون فيرث ونظرية السياق، وأكثر ما جعل الدارسين ينتقدون آراء تمام حسان المنفردة هو خلفيته المعرفية وشدة تأثره



بأستاذه فيرث والدعوة إلى اعتبار المقام، فنجدّه يعرض نظرية فيرث في منهج الدلالة ويركز على المعنى بسبب تأثره بالنظرية السياقية فيعتبر "النحو دراسة الجمل من ناحية العلاقات السنتجماتية (relations syntagmatic) أو السياقية"⁵¹، والمعنى عنده هو كما هو عند أساذه فيرث "كل مركب وإنّ هذا الكل يبدو في صورة مزيج من المستويات الدلالية بعضها صوتي وبعضها صرفي..."⁵²، وفكرة المقام عند تمام حسان هي نفسها فكرة المقام عند فيرث بعناصرها المختلفة.⁵³

والحال نفسها عند محمود السعران الذي يدخل في علم الدلالة عناصر غير لغوية كشخصية المتكلم والسامعين والحاضرين وظروف الكلام وهو يرى أن المعنى يفهم في السياق.⁵⁴

ومن مظاهر التأثير بفيرث نجد محمود السعران يسبق ذكر فيرث بكلمة أستاذه أو يلحقها بدعاء رحمه الله في كثير من المرات.⁵⁵ يقول مثلاً: "و من أبرز الداعين إلى هذا أستاذه المرحوم ج.ر.فيرث..."⁵⁶

10.3. كثرة المراجع الأجنبية

نجد تمام حسان قد اعتمد سبعة وثلاثين (37) مرجعاً أجنبياً مقابل اثني عشر (12) مرجعاً عربياً، في حين بلغ عدد المراجع الإنجليزية عند محمود السعران مائة وستة وثلاثين (136) مرجعاً منها إحدى عشر (11) مرجعاً لأستاذه فيرث، إضافة إلى ثمانية وأربعين (48) مرجعاً باللغة الفرنسية

خاتمة

كانت أهم مظاهر التأثير بالدراسات اللغوية الغربية كثقافة فكرية هي اعتماد مستويات اللغة كأبواب للكاتبين واستعمال مصطلحات الدرس اللساني الغربي وفروع

علمه وكان تمام حسان أكثر تأثراً حيث اعتمد بدرجة كبيرة على التعريب في حين فضل محمود السعران الترجمة، وكذلك اعتماد أمثلة من اللغة الإنجليزية، وأيضاً وضع رموز أجنبية لظواهر صوتية ونحوية في اللغة العربية إضافة إلى اعتماد المراجع الأجنبية بالدرجة الأولى.

كان تأثر كل منهما بالدراسات اللغوية الغربية عن طريق مدرسة فيرث في لندن و الذي نقل لهما مع نظريته بقية النظريات وخاصة البنيوية السوسيرية، ويظهر تأثر كل منهما بفيرث من خلال الاهتمام بالسياق ويبدو محمود السعران أكثر تأثراً وأكثر انتصاراً لأستاذه فيرث (رحمه الله)، على حد قوله، رغم محاولته التوفيق بين آرائه التي تنطلق من المعنى وبين آراء بلومفيلد صاحب الاتجاه التوزيعي والتحليل الشكلي الذي يهمل إلى حد كبير الجانب المعنوي في الوصف النحوي.

لم يستطع الباحثان إدراك المعنى الحقيقي للعلمية والمنهج الوصفي مما أدى بهما إلى الوقوع في التقليد المؤدي إلى مجانبة الصواب في عديد من القضايا مثل: التركيز على المستوى الصوتي، والتطبيق على اللهجات مع عدم الانتباه إلى أضرار اعتماد رموز ولغة واصفة مغايرة للغة الموصوفة وتأثير ذلك على تلقي القارئ العربي.

ختاماً يمكن القول أن الكاتبين حاولا الانتقال في المكان بالدرس اللغوي العربي من خلال نقل المناهج الغربية كما فعل محمود السعران أو نقل اللغة العربية للمختبر الغربي ولم يكن محاولة انتقال في الزمان والرقى بالدرس اللغوي العربي لمواكبة نظيره الغربي.

قائمة الإحالات

- ¹ - انظر، عبد الرحمن حسن العارف، تمام حسان رائداً لغويًا، عالم الكتب، ط1، 2002.
- ² - انظر، غلاف كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1992.
- ³ - انظر، تمام حسان مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
- ⁴ - انظر، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت

- 5- المرجع السابق، ص 04.
- 6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 7- المرجع نفسه، ص 18.
- 8- المرجع نفسه، ص 58.
- 9- المرجع نفسه، ص 237.
- 10- المرجع نفسه، ص 55.
- 11- المرجع نفسه، ص 84.
- 12- المرجع نفسه، ص ص 84، 194، 225، 232.
- 13- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 23.
- 14- المرجع نفسه، ص 37-38.
- 15- المرجع نفسه، ص 130.
- 16- المرجع نفسه، ص 51.
- 17- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 155.
- 18- المرجع نفسه، ص 05.
- 19- المرجع نفسه، ص 09.
- 20- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 51.
- 21- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 128.
- 22- المرجع نفسه، ص 117.
- 23- المرجع السابق، ص 191.
- 24- المرجع نفسه، ص 114.
- 25- المرجع نفسه، ص 60.
- 26- المرجع نفسه، ص 214.
- 27- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ص 121، 170، 171.
- 28- المرجع نفسه، ص ص 110، 131، 171.
- 29- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 06.
- 30- المرجع نفسه، ص 07.
- 31- المرجع نفسه، ص ص 194، 195، 198.
- 32- المرجع نفسه، ص ص 99، 113.
- 33- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 86.
- 34- المرجع نفسه، ص 89.

- 35- المرجع نفسه، ص 91.
- 36- محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 105.
- 37- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 38- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 05.
- 39- المرجع نفسه، ص 19.
- 40- المرجع نفسه، ص 28.
- 41- المرجع نفسه، ص 19.
- 42- محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 39.
- 43- المرجع نفسه، ص 79.
- 44- المرجع نفسه، ص 05.
- 45- j-firth, principe de phonologie, paris, 1949, p 43.
- 46- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ص 91، 207، 261.
- 47- المرجع نفسه، 223.
- 48- المرجع نفسه، ص 190.
- 49- المرجع نفسه، ص 118.
- 50- المرجع نفسه، ص 131.
- 51- المرجع نفسه، ص 195.
- 52- المرجع نفسه، ص 251.
- 53- انظر، خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت ط 01، 2012، ص 165.
- 54- محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 371.
- 55- المرجع نفسه، ص ص 56، 109.
- 56- المرجع نفسه، ص 81.